من شعر محمد عبدالله محمد

الدوم والحديث الثانى *

فى الحديث الثانى لقصيدة الدوم من ديوان " العارف " للشاعر المحامى العالم الأديب محمد عبد الله محمد، يتابع الشاعر الحكيم أحوال الإنسان فى تيهه وبحثه عن الحقيقة التى ينشدها، وحيرته فى استطلاع مراده وفهم ما خفى عليه من أسرار الكون، بين الأرض التى عليها يعيش، والسماء التى إليها يتطلع، متأملاً دور العبادة التى جعل الإنسان يسرف فى زخارفها حاصرا نفسه فيها دون أن يدرك أن مسكن الرب سبحانه وتعالى فى القلوب .. فهل فى وسع الآدمى الباحث عن الحقيقة أن يعرف ربه ؟ .. لا سبيل إلى ذلك إلا بأن يصاحب الإنسان ربه .. هذه المصاحبة ليست فى وصف وَصّاف، ولا فى حسابات مسبحة، ولا فى تصايح الأولياء والأقطاب . إنه هنا قريب إلى عبده يتجلى له فى إعجازه المتدى فى عظيم خلقه .. يقول محمد عبد الله محمد :

دا همُّهُ الأرضُ أعطَى الأرض مُهجَتَهُ
تنسىَ السماءَ وتنسى الشُّهبَ عيناهُ

وليس فى أيْكِهِ عصرٌ لِبُلْبُلَةٍ
ولا نداءٌ من الأجواء ناداهُ

ولا صلاةٌ مِن الأعماقِ قد وصلتْ
ولا صفاءٌ من اليُنْبوعِ صَافَاه

* العالم ٢٠٠٩/٦/١٨

وإنما فى تُـرابِ الأرضِ قَبْضتُـه
لا تترك الأرض يُمْناهُ ويُسْراهُ

* * *

هذا البِنَاءُ حَسِبْنَا الربَّ يَسْكُنُـهُ
لمَّا مَلأنَـاهُ سحّـاداً وأحْشَـابَا
وأرْسَـلَ المسكُ فى أطبـاقِهِ سُحُبـاً
وحَلْجَلَ الصوتُ بالتطريـب وانْسَابَا
قد تَسْبَحُ العينُ فى أجواء مِئذَنةٍ
لا تلمَحُ الربَّ افعالاً وأسبابَـا
إذْ لا نفكِّـرُ أنَّ الـربَّ مسكنُـهُ
فى القَلْبِ ـ يتْرُكهُ ـ إنْ خانَ أو حَابَى

* * *

لنْ تعرفَ الربَّ إلاّ أنْ تُصاحِبَـهُ
ولن تذوقَ الهَوى من وصْفِ وصَّافِ
ياواهمَ الشَوقِ ليسَ الشوقُ مِسْبَحَةً
ولا تَصَايُـحَ أصحـابٍ وآلافِ
ولا تذكّـرَ جيرانٍ بِذِى سَلَـمٍ
ولا توقّـعَ إيلافٍ وإخْـلافِ
ولو عَلِمْتَ بأنَّ الـربَّ داخلنـا
كُفِيتَ رؤيـة أوصـافٍ وأطيـافِ

* * *

أَشَقُّ شيءٍ على الأفهامِ مَوْقِفُهَا
من النَّسَاطةِ فيما يَصْطَفِي البسارِي
تُحِبُّ ألاَّ تَرَى إلاَّ عجائِبَه لا
تبصِرُ النَّهَر فى تيّارِهِ الجارى
كأنما الربُّ لا يُمْضِى إرادَتَه
إلاَّ خِلال أعاجيبٍ وأسْرارِ
هذا ولىٌّ وذا قُطْبٌ وذا وَتَدٌ
وذاك يأمُرُ فى الفردوسِ والنّارِ

* * *

هذى الوُرَيْقاتُ حَوْلَ التُّوتِ موقفُهَا
من دودةِ القَزِّ مَرْعَاهَا ومَأْوَاهَا
لم تَشْكُ من فَقرِ الأيامِ خُضْرَتُهَا
ولا تَعَطَّل غزلُ القَزِّ أو شَاهَا
فما تَكَالُبُ ذى لُبٍّ على مائدةٍ
من العَنَاء تَمَنَّاها وحَلاَّهَا؟
وكيف يطمعُ أنْ تبقى حماقتُه
فلا تموتُ ولا تَفْنَى رَزَايَاها؟

* * *

قد صَارَ عُشًّا وداقَ القلبُ راحَتَهُ
لم يَبْقِ قَشًّا وأوْراقاً وريشاتِ
حامَتْ عَن العُشِّ حتى المِوتِ قَبَّرةٌ
لما احتوى عُشَّها أغْلَى اللُبَاناتِ

تبنى النفوسُ عُشَيْشَاتٍ مُذهَّبةً
تُعانِقُ الأمنَ فى دفءِ القُشَيْشَاتِ
لم تَفْهَمِ الربُّ يا مسكينُ تَسرى
سِوَى تَشابُكِ ريشاتٍ وقَشَّاتِ

* * *

إنّا رَبَطْنَا مراسِينَا بِخَالِقِنَا
ونحنُ نَعْلَمُ أنَّ البحْرَ دوَّارُ
وأننا فوقَ هَذِى الأرضِ موْضعُنا
فى قِشْرَةِ القشْرِ قد تَبْلى وتَنْهَارُ
ونَقْبَلُ الموتَ كى نَبْقَى برفقتِه
مع الحياةِ ويفْنى الثلجُ والنارُ
وليس فى يَدِنَا مِنْ ذَا سِوَى أمَل
فى الربِّ سيَّارٌ وفرَّارُ